الملاحظات

أنزل حضرة بهاءالله اللوح الموجّه للبابا پيوس التاسع (بالعربية) حوالي الفترة نفسها التي أنزل فيها لوح ناپليون. يعرّف فيه حضرة بهاءالله نفسه بأنه رب الأرباب ويخاطب البابا بلسان عظمة الله وسلطانه، معلناً له بلغة لا لبس فيها عن رجعة المسيح بمجد الآب، وداعياً إيّاه بصوت الله الآمر كي يترك قصوره ويسرع في الحضور أمام عرش ربه.

فيما يلي بعض المقتطفات من هذا اللوح الجبار:

"أن يا بابا اخرق الأحجاب قد أتى رب الأرباب في ظلل السحاب وقضي الأمر من لدى الله المقتدر المختار. أن اكشف السبحات بسلطان ربك ثم اصعد إلى ملكوت الأسماء والصفات كذلك يأمرك القلم الأعلى من لدن ربك العزيز الجبار إنه قد أتى من السماء مرة أخرى كما أتى منها أول مرة إيّاك أن تعترض عليه كما اعترض الفريسيون من دون بينة وبرهان...

أسكنت في القصور وسلطان الظهور في أخرب البيوت دعها لأهلها ثم أقبل إلى الملكوت... قم باسم ربك الرحمن بين ملأ الأكوان وخذ كأس الحيوان بيد الاطمينان أن اشرب منها أولاً ثم اسق المقبلين من أهل الأديان...

أن اذكر إذ أتى الروح أفتى عليه من كان أعلم علماء عصره وآمن به من يصطاد الحوت فاعتبروا يا أولي الألباب...

أن يا رئيس القوم أن استمع لما ينصحك به مصوّر الرمم من شطر اسمه الأعظم. بع ما عندك من الزينة المزخرفة ثم أنفقها في سبيل الله مكوّر الليل والنهار. دع المُلك للملوك ثم اطلع من أفق البيت مقبلاً إلى الملكوت ومنقطعاً عن الدنيا ثم انطق بذكر ربك بين الأرض والسماء كذلك أمرك مالك الأسماء من لدن ربك العزيز العلاّم.

تجدر ملاحظة مغزى سقوط سلطنة البابا الدنيوية بنحو درامي، بعد نزول هذا اللوح بزمن قصير وبفعل أثر كلمات الآب السماوي. تلك السلطنة التي أثبتت طيلة عدة قرون بأنها كانت أكثرها قوة في العالم المسيحي ولكنها كانت آخذة بالتضاؤل من حيث القوة والنفوذ لبعض الوقت.

وكتب حضرة شوقي أفندي، في تقييمه لهذا الحدث، ما يلي:

في سنة ١٨٧٠م، بعد إنزال حضرة بهاءالله لوحاً للبابا پيوس التاسع، شنّ الملك ڤكتور عمانوئيل الأول حرباً ضد الدويلات البابوية، ودخلت جيوشه روما واحتلتها. في عشية الاحتلال، قصد البابا اللاتران وصعد، رغم تقدّم سنّه وبوجه مبلل

بالدمع، زاحفاً على ركبتيه إلى سكالا سانتا (الدرج المقدس). ومع بدء قصف المدفعية صباح اليوم التالي، أصدر أمراً برفع العلم الأبيض فوق قبة القديس بطرس. وإن سُلِبَ بذلك النحو، رفض البابا الاعتراف بهذا "المخلوق الثوري"، وحرم كنسياً الذين احتلوا دويلاته، مستنكراً ڤكتور عمانوئيل وواصفاً إيّاه "الملك اللص" وبأنه "غافل عن كل مبدأ ديني، ومستهين بكل حق، ودائس على كل قانون". وأخيراً صارت روما، "المدينة الخالدة، التي عرفت خمس وعشرين قرناً من المجد"، وتوالى عليها حكم البابوات بحق غير قابل للنزاع لمدة عشرة قرون، صارت أخيراً مقراً للمملكة الجديدة، ومسرحاً لتلك المذلّة التي تنبأ بها حضرة بهاءالله والتي جلبها سجين الڤاتيكان على نفسه.

'كانت الأعوام الأخيرة من حياة البابا المسن مليئة بالكروب' طبقاً لما كتبه أحد المعلّقين على حياته. 'فإلى جانب علله البدنية أضيف همّ مشاهدة انتهاك الدين، في أغلب الأحيان، في قلب روما، ومؤسسات الرهبنة تُسلب وتُضطهد، والأساقفة والقسيسين ممنوعين من أداء وظائفهم.'

هذا ولم تثمر أيّ من الجهود لتصحيح الوضع الذي خُلق في سنة ١٨٧٠م. فقد استقبل مطران پوسان ببرود عندما ذهب لڤرساي التماساً لتدخل بسمارك لجانب البابوية. فيما بعد نُظم حزب كاثوليكي في ألمانيا بهدف الضغط سياسياً

على مستشار ألمانيا. إلاّ أن كل ذلك راح سدى. فالعملية الجبارة آنفة الذكر كانت ماضية في مسارها دون توقف. وحتى هذا الحين، بعد أزيد من نصف قرن، لم يُجْدِ ما يسمى باستعادة السلطة الدنيوية إلاّ بتوكيد عجز هذا الأمير القوي فيما مضى والذي كان الملوك يرتجفون من اسمه، ولسلطته الثنائية طوعاً يستسلمون. وحتى هذه السلطة الدنيوية، التي تنحصر داخل مدينة الڤاتيكان الصغيرة، وتترك روما مُلكاً لا يُنازع بيد ملكية علمانية، كانت قد اكتسبت على حسابه اعترافاً غير مشروط، طال وتأخر الإحجام عنه، بالمملكة الإيطالية. أمّا معاهدة لاتيران، التي تدعي تسوية روما تسوية نهائية، فقد ضمنت في الواقع لسلطة دنيوية، فيما يتعلق بالمدينة المطوّقة (الڤاتيكان)، مجالاً في حرية التصرف مملوء بالشكوك والمخاطر. وسجّل أحد الكتّاب الكاثوليك ملاحظاً: 'إن روحَيْ المدينة الخالدة قد انفصلا عن بعضهما فقط ليعودا يصطدمان بشدة أكثر من ذي قبل.'

وقد يتذكر الحبر الأعظم جيداً عهد من كان أقوى سابقيه، إينوتشِنتِه الثالث الذي نَصّب وعَزل، خلال الثماني عشرة سنة البابوية، ملوكاً وأباطرة، وأوامر تحريمه التي سبّبت تعطيل العبادات المسيحية بين بعض الأمم، وعند قدميْ ممثله سلّم ملك إنجلترا تاجه، واستجابة لصوته انطلقت حملات الحرب الصليبية الرابعة والخامسة.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٣"